([1]) عبّاس داخل حسن

بقلم: حسن عبد الغني الحماديّ/ العراق

قصص وآفاق في الكتابة والإبداع:

منذ زمن بعيد أصرّتْ مدينة النّاصريّة على العطاء المثمر في الطّاقات المتنوّعة في مجالات الأدب والفنّ والتّأليف والكتابة.

ممّا لا شكّ فيه أنّها مدينة ولّادة ما زالتْ ترفد السّاحة الثّقافيّة بالعديد من تلك الطّاقات المتوهّجة في فضاءات الإبداع والسّمو الإنسانيّ المتميّز.

يستمرّ الزّمن من ناحية الخطوات والعطاء والزّهو والتّألّق، وهذه سمة نفتخر بها في هذه الدّيار العامرة بالآداب والفنون المختلفة من جيل إلى جيل، وهي خطوات لها أثر في الذّاكرة الأدبيّة لمدينة النّاصريّة لما فيها من إرثّ حضاريّ وزهو مدنيّ وأفق في الكتابة المتنوّعة، حقّاً إنّه نبض حقيقي في مدينة تكتظ بالمبدعين، وتسمو بأثر البدايات ونكهة الحضارة والجذور، ونشيد الأولين حيثُ بصمات الإبداع على خارطة الزّمن.

في الثّمانيات من القرن الماضي، وما أدراك من وحي الثّمانينات حيث وجع الحرب وألأم الخراب، وهذيانات صعبة اسمها الأحلام وكوابيس الخوف وتراكم

---

[1] – مقالة بذات العنوان من كتاب (رعشات الحنين لبوّابات السّنين: أوراق توثيقيّة للحركة الأدبيّة في مدينة النّاصريّة) بقلم حسن عبد الغني الحماديّ، ص 311–314

الأوهام والنّار والخنادق والرّصاص والدّمار والمتاهات الواسعة، فما هو وحي الثّمانينات في ذاكرة مهووسة بالآمال المؤجلة والآلام الجاهزة.

ثمة موت رخيص يطاردك، يقترب منك مرّات وتلك لعبة الطّغيان، ولعبة صانعي الموت وصاحبي مزاجات وأطروحات شخصيّة منفردة، تركت في جسد الوطن المعشوق أعمق الجراح وأوسع المتاهات، أرادتْ تضييع جمال الوطن والإنسان وتحيلهما إلى حاجات في الضّياع والنّسيان.

وسط تلك الحمّامات السّاخنة بالموت، وفي تكل الأجواء المتخمة بالتّشرّد والتّهميش، مكان وزمان نار وشرار، والزّمان إنّك ضائع مع سبق الإصرار. في هذه المتاهات وفي تلك الظّروف الممزوجة بالخرابات كتب أديبنا القاصّ (عبّاس داخل حسن).

قصصه المكتظّة بالوجع والحرمات والمغالطة والنّسيان، قصص منسوجة بخيوط الحرقة والألم والحسرة والأنين حيث فراق الأحبّة والأصدقاء وألم الوحشة والضّياع المتاهة والموت الذي ينتظره إجباراً دون هوادة.

لقد ضمّ قاصّنا حروفه وتصوّراته وأدواته الكتابيّة بصبر وتجلّد وتأهّل وحيرة حتى زفّ نبض تلك الحروف بتجربته على الرّغم من المعاناة. ربما كان ذلك إصراراً لا يرضى؛ فأحصى النّصوص الأدبيّة آنذاك.

لقد كتب قصصه المتناثرة في مجلّة (الطّليعة الأدبيّة) التي كانت تُعنى بأدب الشّباب، ومن ثم نشر في صحف عراقيّة هنا وهناك، ومن تلك القصص على سبيل الذّكر لا الحصر: قصّة (بطاقة تعريف)، وقصّة (نداءات نائيّة)، وقصّة (أشياء تستحقّ المغامرة).

لقد كتب قصه القصيرة بدأت ومتابعة ونشاط، كما هزّته مواقف القلق والخوف والموت والخراب.

حاك عبّاس داخل حسن حواراته بحماس، وتطلّع لقصّة يريد من ورائها أن تشغل حيّزاً لدى المتابعين والمعنيين بهذا الفنّ الصّعب، حتى أنّه برهن على صدق ارتباطه بهذه القصّة عبر مخاضات التّجربة الحقيقيّة في أجواء قصصه مؤطّراً فنّه القصصيّ بأفق جمالي يثير هو في الحدث والزّمان والمكان واسماً فنّه بقضيّته المنشودة لديه.

صاغ قصصه بانثيال وتداعٍ، وهو يتنفّس الخواطر والمصائب والإحراجات، ومن حروفه المنسابة في الصّياغة كعزف داخليّ معبّراً عن أنينه وشكواه وحرقته من الفراق واللّوعة من السّفر الجبريّ، أو الابتعاد في المسافات البعيدة حيثُ التّشرّد والمخاوف والألم؛ فقد اختصرت حروفه نفساً قصصيّاً في قصّته الموسومة بعنوان (بطاقة تعريف).

"كانتْ تلك الأيام الآسرة تنزلق بسرعة مثل قطرات زئبق على سطح العمر البلّوريّ، لم أكن وقتها قد عرفت النّساء التّدخين وحقيبة السّفر، ولم تلفح وجهي رغوة صابون الحلاقة، ولم تغمط قدماي الطّليقتان بحذاء ثقيل يحدّ من الجري في الأزقّة وراء صبايا طفولتنا، ونحن نلعب لعبة التّخفّي... ألخ".

مارس النّقد في وقت مبكّر من تجربته الأدبيّة، فمن نشاطاته كان مهووساً بالمسرح وفضائه الشّاسع، وله فيه محاولات في كتابه نقد مسرحيّ سواء لمسرحيّة شاهدها أم قرأها، فنشر بعض أنفاسه النّقديّة في بداية الثّمانينات، وذلك وفق رؤاه الخاصّة وأدواته النّقديّة، وما تعلّمه من أهل المسرح والفنّ والنّقد والتّجربة.

من منشوراته كتب مرّة نقداً عن مسرحيّة (الدّوبة) من تأليف وإخراج الفنّان الرّاحل (مهدي السّماوي) رحمه الله تعالى. كان ذلك في عام 1983عن وزارة الثّقافة والإعلام العراقيّة في ذلك الوقت، موضّحاً فيه فكرته النّقديّة وفق تباعد في مشاهد مسرحيّة وأحداث وآراء وأفكار بتصاعد الدّراما في أحداث متناثرة يصعب على المتلقّي فهمهما وإدراكها وحجم الحدث الذي تتحدّث عنه على حدّ تعبيره.

في ندوة أدبيّة فنيّة نشرتها مجلّة (الطّليعة الأدبيّة) في عام 1983 مع المسرحيين الشّباب في مدينة النّاصريّة أدراها القاصّ المبدع (محمد حياوي) حيث جمعته والقاصّ (عبّاس داخل حسن) والشّاعر عبد الحميد كاظم الصّائح ونخبة من الفنّانين الشّباب في المدينة آنذاك، مثل الفنّان أو القاصّ هيثم محسن الجاسم والفنّان الرّاحل علي بصيص رحمه الله تعالى والفنّان رياض سبتي والفنّانين رائد سيف وعلي ناجي.

أبدى قاصّنا عبّاس داخل حسن رأيه في ذلك النّقاش حول شؤون المسرح وسبل تطويره وتشخيص مقوّماته؛ فقد كان طموحاً ومشجّعاً لنتاجات الشّباب المسرحيّة وتطلّعاتهم وأطروحاتهم داعياً إياهم إلى مسؤوليّة خلق عمل إبداعيّ مسرحيّ كي يثبّتوا أقدامهم على خشبة المسرح.

من منشوراته الأولى في خطواته الأدبيّة كتب مقاطعاً نثريّة قريبة من الشّعر في اللّغة والانطلاق، حيث وظّفها بنسيج شفّاف انطلق بلغة بسيطة مثّلتْ روعة الحبّ وأناشيد الوطن والمحاكة، ووهبتْ حروفه من أجل الوطن والنّاس والحبّ والجمال والكلمة الطّيّبة والسّحر والخيال.

تلك خطوات وقصص وآفاق معرفيّة في نوافذ العطاء الأدبيّ، وتلك إشارات واضحة لجيل بثّ نبضع في الكتابة والعشق والإصرار على الرّغم من مرارة الظّروف وقساوتها. وإنْ دلّ ذلك على شيء، فإنّه إعلان عن هويّة كاتب شاب وُلد في معطف السّنين والوجع والحرب والدّمار الذي شهده الوطن؛ فهي مخاضات وحرقة وحنين.

من ثم لفته الوطن بعيداً، وغلّفته دهاليزه الموجعة بحثاً عن الحرّيّة والحلم والانطلاق.

تجربته الأدبيّة مثل شجر يورق لأجل الحبّ والحياة والكتابة والإبداع، وله كتابات عديدة ومقالات مختلفة في الأدب والفنّ والسياسة، وقد نشرها في صحف ومجلّات عربيّة وأجنبيّة، إضافة إلى كتاباته المتنوّعة التي نُشرت في مواقع الكترونيّة مختلفة هنا وهناك، مؤكّدة بذلك عافية العطاء والإبداع.